

وحدة قوى النضال

سلبيات الأمس وامل الغد

من الامور التي اوضحتها احداث العراق، في العامين الماضيين، ان الامريكان وحلفائهم واتباعهم، استخدموا اسلحة كثيرة لقهرا العراقيين.

كان في مقدمة تلك الاسلحة، سعيهم لتمزيق صفوفهم، وحملهم على ان يعيشوا في الجانب السلبي للماضي فقط. وأتضح ان ابرز اسلحتهم، كان تصميمهم على ان يفرقوا العراقيين في ذلك الماضي، كي لا يروا ماضي الحاضر وخطاره. والهدف واضح ايضاً من ذلك، هو تحطيم وحدتهم ومنع قيام وحدة وطنية جديدة تتوجه ضد مشروعهم.

تدرك القوى الوطنية اهمية تلك الوحدة، وان اول ماتحتاجه الان، هو قلب الصفحات السلبية من ماضي العلاقات بينها، وفتح صفحات جديدة للحاضر، والاتحاد في النضال المشترك المطلوب.

أن المراجعة النقدية الجريئة لأخطاء الماضي، من جانب الجميع هي ضرورة ايضاً. فهي مطلوبة لانها تساعد على تحقيق تلك الوحدة المرجاة، وعلى استمرارها وتطورها. لكن بعض الوطنيين يرون ان هذه المراجعة النقدية الجريئة المطلوبة، هي شروط مسبقة، لا بد منها لتلك الوحدة الوطنية المنشودة الان.

أنهم يقدمون الشكوك بالنوايا وحالات النكث بالوعود والمواثيق السابقة، كمسلمات لا يمكن تجنب تكرارها لاحقاً، وبذات المبررات السابقة. ويرون كذلك ان الانتهاكات التي حصلت في الماضي، لا يمكن درءها مستقبلاً دون محاكمات عادلة ومسيرة جدية جديدة.

ومن الجانب الاخر فأن بعض القوى الفاعلة الان على الساحة العراقية، التي واصلت مواقف الدفاع المشرف عن الوطن، ضد المحتل وعدوانه، وتتهض بأداء مهمات النضال

لتحريره، ملزمة ايضاً ان تتحصن تجاه محاولة جرها الى مزلق الانغلاق والجمود والتعصب لتجربة الماضي.

وهذه القوى التي نعنيها، يطلب اليها ان تعلن رفضها لطروحات من ينسبون أنفسهم اليها، حقاً او افتعالاً، يغلقون الابواب امام اي مراجعة نقدية للماضي، واتهام من يمارسها بالعداوة وسوء القصد.

مطلوب الى هذه القوى ايضاً ان تتنبه الى اضرار طروحات من يلجأون الى تمجيد الماضي بكل ما فيه، والانتباه بخاصة الى مخاطر طروحات بعضهم الذين يدافعون عن امكانية الجمع بين الوطنية والتصدي للعدوان الاجنبي وبين تبرير الاستبداد سابقاً، او حتى امكن العودة اليه لاحقاً.

بات من المعروف، ان امبريالية الولايات المتحدة وحلفاءها، يستثمرون جميع نقاط الضعف في الانظمة التي يستهدفون تحطيمها، وخاصة تلك التي تقف بوجه هيمنتهم.

في مقدمة نقاط الضعف التي تستثمر في تلك الانظمة، رفضها للاصلاحات وللتطور الديمقراطي، ونزوعها الى اقامة انظمة مستبدة تعيق تنفيذ خططها في النهوض الوطني والتنمية المستقلة، وتعزلها بالتالي عن شعوبها وتقوض اهم ركائز صمودها ومقاومتها.

مع تكريس انظمة الاستبداد، وحتى دعمها احياناً، يخاطب الغزاة قوى الاصلاح والتغيير الاجتماعي والديمقراطي، خارج اطار تلك الانظمة الوطنية او المعارضة لها، ليمدوا الجسور معها وليغروها بالتعاون معهم لانجاز مشروعهم في الهيمنة على البلد المعين.

كان العراق نموذجاً صارخاً لهذا التواطؤ بين غزاة الوطن وبين كثير من قوى النضال القديمة.

ان الاستبداد هو ظرف مساعد لنشوء وتسريع وتوسيع ظاهرة الخيانة للوطن، والتواطؤ مع الغازي.

ولكن لا يصح تبريرها بوجود الاستبداد، ذلك ان شرطاً واسعاً من القوى الوطنية ومن الوطنيين الذين عانوا مظالم الاستبداد رفضوا طريق الخيانة والتواطؤ مع الغازي الاجنبي.

كما لا يجوز اعتبار الاستبداد هو المسؤول عن دفع اقسام من هذه القوى للتخلي عن الوطنية والاستجارة بالاستعمار الامريكي او بدول اخرى ضالعة معه.

فالتواطؤ مع الاجنبي لا يمكن فهمه واعتباره مجرد فقدان لقطاعات من الشعب العراقي، الامل تماماً بالقدرة على الاصلاح الداخلي، واضطرارها بالتالي الى اللجوء والتعويل على اسقاط النظام عن طريق الاحتلال الاجنبي.

فهذه الخيانة للوطن غير قابلة للتبرير، وهي تستوجب في جميع الاحكام، المساءلة وبالتالي التجريم القانوني. ولا يمكن مساواتها باي حال من الاحوال مع جرائم ومسؤوليات الاستبداد الداخلي.

* * *

عدا الخلاف حول الموقف من احداث الماضي ومسؤولياته ودروسه، تبرز على ساحة العمل السياسي العراقي ايضاً، الاختلافات المتعلقة بمحتوى واساليب تحقيق المهمات الوطنية الراهنة.

بات من المعروف، ان القوى الوطنية لها اساليب مختلفة في التنظيم والجهاد والاعلام. فبعضها يعمل في سر مطبق ويعلن اعتماده مقاومة الاحتلال حتى انهائه، وبعضها الاخر له مقراته العلنية وقياداته المعروفة واجهزة اعلامه، ويعلن تبنيه ودعمه للمقاومة الوطنية بكل اشكالها حتى اخراج المحتل.

لكن طبيعة هذه القوى الاخيرة، يضطرها لان يكون لها اسلوبها في الجهاد، وخطابها السياسي الخاص واعلامها المتميز ايضاً. كما يفعل المؤتمر التأسيسي الوطني العراقي والتيار الصدري وغيرها.

ان طرفي النضال والمقاومة يكمل احدهما الاخر، ويحتاج احدهما الاخر. وينبغي توفير اجواء التفهم المشترك، والتنسيق ووحدة العمل بينهما.

وستكون غريبة جداً وضارة ومستهجنة اثاره التناقضات والحساسيات بين طرفي المقاومة المذكورين، خاصة حينما تصدر تلك الاثرات ممن هم بعيدون عن ميادين المعركة الاساسية داخل الوطن.

من جميع الطروحات المتباينة التي اتينا عليها، نخلص الى انه يراد لنا ان نغرق في الخلافات وفي محاكمات بعضنا الاخر، في وقت يجتاحنا إعصار الاحتلال والمتواطئين معه، الذي يصر على تدمير ارادة البقاء والعيش الامن المشترك والازدهار لهذا البلد واهله.

ونظرآ لسعة القاعدة الاجتماعية للقوى السياسية والشخصيات التي وقعت في اخطاء الماضي والحاضر، وعمق المأساة التي اصابت الشعب والبلاد، وطموح الناس العميق للخلاص من هذا الوضع وبلوغ شاطئ الامان، فقد غدت المطالبات بالتسامح وبقلب صفحات الماضي السلبية، تحظى بالاولوية والقبول لدى بسطاء الناس.

ان الاساس والشرط الاولي لهذا التسامح، ولتلك المصالحة الوطنية هو العودة الى الطريق السليم المعترف به، هو ان يحل العراقيون وحدهم شؤون بلدهم، وان يقطع الطريق امام التدخل الاجنبي، سواء جاء بأسم الاحتلال الامريكي، ام القوات متعددة الجنسيات، ام تحت لواء الامم المتحدة.

وهو يعني ان يكون التسامح والمصالحة الوطنية على اساس الاقرار بحق الشعب في مقاومة الاحتلال، بكل السبل الضرورية والممكنة، من اجل انجاز تحرير الوطن منه.

* * *

قال الحكماء (من لم يعلمه الابوان علمه الزمان) ! لكن تعليم الزمان فيه معاناة اكبر
وخسائر اكثر. فهو يعني اننا سنكون امام تجربتنا ذات الاخطاء المريرة القديمة. وهو يعني اننا
سنكون امام مهمة دفع اثمان باهضة لمرارات نعرفها، يمكن ويجب تقاؤها.

لذلك فنحن جميعاً، نحتاج الى ان نتعلم من بعضنا البعض وان نقر بأننا جميعاً لسنا معلمين،
بل تلامذة الحياة المتجددة ابدأ.

ان النقد والنقد الذاتي ضروريان الان، وفي كل وقت لجميع قوى النضال من اجل تحرير
العراق وتطويره. لكننا ندرك ايضاً، ان هذا النقد والنقد الذاتي، ان هذه المراجعة الجدية والشاملة،
للماضي، ليست صفقة سياسية، يمكن ان تتحقق باعلان او وثيقة وعود وتعهدات. انها عملية
نضالية، فكرية وسياسية واخلاقية، واحياناً عاطفية ايضاً، فردية وجماعية، طويلة الامد وشاقة
ومعقدة.

لكنها تبقى رائد المخلصين وعنوان قدرتهم على مواصلة النضال المجيد القديم، ثم قدرتهم
على التطوير ورؤية الجديد.